المحور الثاني

وضع اللغة العربية
خارج أوطانها

عالمية اللغة العربية : الرؤية والأداة

أ.د. بكري عبد الكريم – ج. وهران

الـملخص :

لقد ارتأينا أن ندخل لموضوع عالمية اللغة العربية من الأبواب التي يمكن أن تفتح أمام مسيرتها الطبيعية التاريخية إذا تهيأت لها أسباب التطور والارتقاء ولقد اقتضت منهجية هذه الرؤية أن تكون محاولة لصياغة إجابة على بعض الأسئلة التي وصعناها في مقدمة هذا البحث والتي يمكن إجمالها في :

1– ماهي مظاهر القوة والثراء، والعطاء التي تتمتع بها اللغة العربية وكيف استطاعت أن تصمد وتقاوم كل عوامل الإزالة والتشويه والتمييع التي تعرضت لها عبر تاريخها المديد ؟

2– ماهي السبل والقنوات الواجب اتّباعها لمد الجسور وربط الصلات بينها وبين الثقافات واللغات الحية العالمية؟

3– كيـف يـمكن أن نـجاوز بين أرصدتنـا اللغوية وبين عالم الفكر والعلم؟

4– ماهي الطريقة التي تمكننا من وضع المستجدات والمستحدثات العلمية في أوعيتها، وقوالبها لنجعل من لغتنا ذخيرة لفظية تلاحق حركة التجديد والتطور، وتواصل انتشارها في الأوساط الإجتماعية والعلمية في مختلف أنحاء العالم؟

وهي أسئلة تفضي إلى استفسارات أخرى تتعلق بأهمية تعليم هذه اللغة للجاليات العربية والإسلامية والأجنبية في آسيا، وأوروبا وأميريكا ومراعاة المناهج والنظريات التربوية اللازمة لذلك .

نحاول إذن في هذه الدراسة أن نجيب على هذه الأسئلة من خلال تلمس السبل ورسم الخطط التي تقربنا من المحطات العلمية العملية التي ينطلق منها عالمنا اليوم في مجال التأصيل والتطوير والبناء .

لقد أصبح طريق الباحث في مستقبل اللغة العربية ومكانتها بين اللغات العالمية مختلفا (في المنهج وطريقة التناول) عما كانت عليه نظرات ودراسات السابقين لمواطن، وأوضاع لغتنا العربية الجميلة، حيث إن التحديات والرهانات العلمية والثقافية، والإعلامية التي أصبحت تمثل العمل الفاصل الذي ينبغي أن تقاس في ضوئه مدى تصدّينا لهذه الهجمة العارمة، وهذه

الحشود الإعلامية من صحف، وقنوات فضائية تلفزيونية وانترنيت، ومدى قدرتنا على الدخول في منافسة دولية على جميع الأصعدة تتطلب منا بالخصوص المحافظة على خصوصية لغتنا، وأوعيتنا الثقافية في عالم يتغير من حولنا بسرعة مذهلة، ويشهد طفرة هائلة في تكنولوجيا الاتصال، والمعلومات.

ووفاء لما ألزمنا به هذا البحث من حيث وجوب إتباع سبل تقّربنا من المحطات العلمية والأكاديمية التي ينطلق منها عالمنا اليوم في هذا المجال فإننا نود أن نربط مسار وجهتنا البحثية بأسئلة موضوعية تمكننا من رسم المعالم، والضوابط التي ينبغي الالتزام بها لصياغة رؤية متكاملة وشاملة لما نريده لهذه اللغة من تطور، وانتشار، وازدهار، وهذا انطلاقا من موقعنا الزمني ومفهومنا لمواقع العربية في دوائرها القومية الداخلية المتداخلة من جهة، وللدوائر المحيطة التي يتكون منها العالم بأشيائه التي تغمر حياتنا اليومية من جهة أخرى.

اقتضت منهجية هذه الرؤية إذن أن تكون محاولة لصياغة إجابة على بعض الأسئلة التي وضعناها في مقدمة هذا البحث والتي يمكن إجمالها فيما سنعرضه في الفقرات القادمة.

1– ما هي مظاهر القوة والثراء والعطاء التي تتمتع بها اللغة العربية وكيف استطاعت أن تصمد، وتقاوم كل عوامل الإزالة والتشويه والتمييع التي تعرضت لها عبر تاريخها الطويل؟

2– ما هي السبل والقنوات الواجب إتباعها لمد الجسور وربط الصلات بينها وبين الثقافات واللغات الحية العالمية؟

3– كيف يمكن أن نجاوز بين أرصدتنا اللغوية الضخمة، وبين عالم الفكر والعلم؟

4– ما هي الطريقة التي تمكننا من وضع المستجدات والمستحدثات العلمية في أوعيتها وقوالبها اللغوية لنجعل من لغتنا ذخيرة لفظية تلاحق حركة التجديد والتطور التي يعرفها العالم وتواصل انتشارها في الأوساط العلمية والاجتماعية؟

5– كيف يمكن أن نستخلص من أفكار غيرنا ما يمكننا من إلقاء أضواء جديدة على هذه اللغة لاستيعاب كنوز المعرفة من ينابيعها الأصلية واستقصاء طرائق النظر العلمي الحديث.

تلك أسئلة نراها وجيهة من حيث إنها تعكس رؤانا للغة الضاد من جهة مكانتها، وطاقاتها ومجالات إبداعها، تتولد عنها أسئلة أخرى تتعلق بأهمية تدريس العربية للجاليات العربية، والأجانب المسلمين، وغير المسلمين في أوروبا وآسيا وأمريكا وإفريقيا، وكيف يمكن أن ينبني هذا المشروع على مبدأ مراعاة مراكز اهتمام المتعلمين ومواقع تمركزهم.

فلنحاول إذن الاهتداء إلى صياغة مدخل جامع يوصلنا إلى المشارف والأهداف المسطرة لهذا البحث.

وأول ما يستوقف أي باحث منصف متأمل في حياة هذه اللغة ومسيرتها التاريخية. هي قدرتها على البقاء، ونموها السليم القائم على أصول ثابتة في الأرض، وفروع يانعة مرنة تسري فيها الحياة في تناغم مع المتغيرات الزمنية والمكانية إذ هي اللغة الوحيدة إلى عاشت أكثر من ألف وسبعمائة عام وظلت ومازالت لسان الأجيال المتعاقبة تتجاوب مع متطلبات الأزمنة والعصور وتساير الحضارات، وتلبي مطالب العلم والعلماء من صيغ وتراكيب وأقيسة وأدلة وتقاوم في إصرار عجيب عوامل الضعف والانحلال والزوال حتى في أحلك الظروف إذ أنها اللغة التي كان لها الشرف أن تسع كتاب الله لفظا وغاية فتصبح قناة اتصال بين السماء والأرض ورابطة بين القلوب والأرواح في كل زمان ومكان، لذلك لم يكن غريبا أن تستهوي أبناء شعوب كثيرة في هذا العالم فيجعلوها اللغة الأثيرة لديهم لمرونتها ودقتها وتعدّد دلالاتها وتكوّن أساليبها ولأنّها كذلك لغة الدين، ولغة العلم ولغة السياسة، ولغة التجارة، ولغة الآداب والفنون.

يقول حسين نصار: «إن أكبر تحدّ واجهته العربية كان عندما أخرجها الإسلام من جاهلية غنيّة كلّ الغنى في الإبداع الأدبي، فقيرة كل الفقر، إلى حد الإملاق في الإنتاج العلمي، ثم ألقى بها في بحر وافر من الحضارات، والعلوم، والفلسفات والفنون، وكل صنوف المعرفة التي ابتكرتها الأمم المتاخمة للجزيرة العربية، ويسجل المؤرخون كيف انبثقت حركة فكرية منذ أواخر القرن الهجري الأول. وكيف انفردت الشعوب الناطقة بالعربية (من بين الشعوب الناطقة بالسريانية، والفارسية واليونانية) بالريادة العلمية والحضارية في مجال البحث العلمي والترجمة والتعريب وفي ذلك يقول غوستاف لوبون: «لقد أصبحت اللغة العربية لغة عالمية في جميع الأقطار التي احتكت مع الشعوب العربية حيث تراجعت أمامها حتى اللغة اللاتينية في شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس)[1] ولقد أدرك أولوا العلم في تلك الفترة أن اللغة العربية هي الوسيلة الوحيدة لنقل العلوم والفنون والآداب، بل لقد اضطر رجال الكنيسة إلى تعريب مجموعاتهم القانونية لتسهيل قراءتها في الكنائس الإسبانية[2].

وهكذا بلغت اللغة العربية مبلغا أجبر علماء أوروبا وطلابها على تعلمها من موقع التلمذة والاكتشاف، وبلغ إعجابهم وتحمّسهم للغة العربية حدّا أنساهم لغتهم الأصلية وهذا نص نلتقطه من قرطبة وبلسان أحد رجال الدين في القرن التاسع الميلادي ولسان الحال يقول: «أين نحن من هذا المقام الرفيع الذي بلغته لغة الضاد، يقول هذا الرجل: «إن إخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب، ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين، والفلاسفة المسلمين لا ليردوا عليها وينقضوها، وإنما ليكتسبوا من ذلك أسلوبا عربيا جميلا صحيحا، وأين نجد الآن واحدا من غير رجال الدين يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت عن الأناجيل المقدسة، ومن سوى رجال الدين يعكف على دراسة كتاب الحواريين وآثار الأنبياء والرسل؟ إن الموهوبين من

شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب وآدابها، ويؤمنون بها، ويقبلون عليها في نهم وهم ينفقون أموالا طائلة في جمع كتبها، ويصرحون في كل مكان بأن هذه الآداب خليقة بالإعجاب. وإذا حدثتهم عن الكتب النصرانية أجابوك في ازدراء بأنها غير جديرة بأن يصرفوا إليها انتباههم . .يا للألم، لقد نسى النصارى حتى لغتهم، فلا تكاد تجد بين الألف واحدا منهم يستطيع أن يكتب إلى صاحب له كتابا سليما من الخطأ، فأما عن الكتابة في لغة العرب، فإنك واجد فيهم عددا عظيما يجيدونها في أسلوب منمق، بل هم ينظمون في الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم فنا وجمالا[3].

وهذا نص آخر من أوروبا يعكس كيف فرضت اللغة نفسها على الطبقات العليا من علماء، ومتقفى أوروبا حتى أصبحت لغزا، وظاهرة غير مسبوقة عجزوا عن تفسيرها، يقول أحد شعراء إيطاليا:

ماذا؟ لقد استطاع شيشرون أن يكون خطيبا بعد ديموستن واستطاع فيرجيل أن يكون شاعرا بعد هوميروس، وبعد العرب لا يسمح لأحد بالكتابة؟ لقد جارينا اليونان غالبا، وتجاوزناهم أحيانا، وبذلك جارينا وتجاوزنا جميع الأمم، وتقولون إننا لا نستطيع الوصول إلى شأو العرب، يا للجنون! ويا للخبال بل يا لعبقرية ايطاليا المنطفئة [4].

ونود أن يستقرّ في أذهان الغيورين على لغتهم أن ما وصله اللّسان العربي من تفّوق، وتميّز، وانتشار لم يأت من فراغ أو جاء هبة منزلة من السماء على قوم تائهين ذاهلين مستسلمين لتقلبات التاريخ. فلقد آمن أولو الأمر منهم أن هذا العلم الذي أمرنا الله أن نستزيد منه وننظر به ما في هذا الكون من خيرات ومنافع سيبقى عصيا علينا ما لم ننقله إلى ديارنا بالتعريب، والتقريب والتأصيل، حيث لا يمكن أن ننقل أمتنا أو أية أمة إلى عوالم العلم والمعرفة بأية وسيلة كانت، ولكن من اليسير أن ننقل العلم والمعرفة، والمهارات إلى كل ركن أو زاوية في تلك الأمة أو ذلك الوطن، أي أن ما وصلت إليه لغة هذه الحضارة كان نتيجة تفكير وتخطيط، وثمرة سياسة محكمة طويلة الأمد.

ولقد أجمع الدارسون المهتمون بالاتصال الثقافي العلمي بين العربية والأمم الأخرى أن بيت الحكمة الذي بلغ قمة مجده وذروة عطائه في عصر المأمون، يمثل نقلة علمية، وبداية للخطوات العملاقة إلى خطتها العربية في مجال احتضان العلوم والثقافات المختلفة حيث أصبح أكبر مركز ثقافي علمي عرفه ذلك العصر، ولقد أعطى المأمون لهذه الخزانة العلمية كل ما يملك من وقت وجهد ومال، ومما يروى في هذا الصدد أن شيخ المترجمين إسحاق بن حنين كان يتقاضى من الخليفة وزن ما يترجمه ذهبا [5]، ولا غرابة في تلك الروايات إذا نظرنا إليها في ضوء ما عرف عن المأمون من غزارة علم وسعة إطلاع، وتعطش لجمع الكتب ونقلها من لغاتها الأصلية إلى اللغة

العربية وفي ذلك يقول صاعد الأندلسي: «ثم لما أفضت الخلافة فيهم إلى الخليفة السابع منهم عبد الله بن المأمون بن الرشيد، تمّم ما بدأ به جده المنصور فأقبل على طلب العلم في مواضعه واستخرجه من معادنه نفصل همته الشريفة، وقوة نفسه الفاضلة، فداخل ملوك الروم، وأتحفهم بالهدايا الخطيرة، وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلسفة، فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطو طاليس وأبقراط وإقليدس وبطليموس، وغيرهم من الفلاسفة، فاختار لهم مهرة الترجمة وكلفهم إحكام ترجمتها...ثم حضّ الناس على قراءتها ورغبتهم في تعلمها، فنفقت سوق العلم في زمانه، وقامت دولة الحكمة في عصره، وتنافس أولو النباهة في العلوم لما كانوا يرون من إعطائه لمنتحليها، واختصاصه لمتقلديها فكان يخلو بهم، ويأنس بمناظرتهم ...فينالون عنده المنازل الرفيعة، والمراتب السنية...فأتقن جماعة من ذوي الفنون والتعلم في زمانه كثيرا من أجزاء الفلسفة، وسنّوا لمن بعدهم مناهج الطلب ومهدوا أصول الأدب.»[6]

هذا الانفتاح على العلوم والثقافات الأخرى الذي عرفته الإمبراطورية الإسلامية في عهد المأمون، والذي أدّى إلى انتعاش حركة الترجمة وتمديد وتوسيع الأبنية اللغوية المستقبلة لهذه الثقافات والعلوم، قلت إن هذه السياسة المستنيرة التي انتهجها المأمون جعلت أحد الكتّاب والشعراء المعاصرين، ينظر إليها بمنظار مناهج العصر ومقاييسه يقول الكاتب الروسي غوغول الشهير وهو يتحدث عن المأمون «لقد كان راعيا فذا للعلوم، خلّد اسمه التاريخ، وكان واحدا من أنبل رجالات الجنس البشري سعى لأن يحوّل دولة السياسة إلى دولة الأدب، فقد كان متعطشا إلى التنوير فبذل كل ما في وسعه لأن يعرف دولته بالعالم اليوناني الذي كان غريبا عنها حتى ذلك الحين، وفتحت بغداد أبوابها للعلماء من كافة الأقطار –وتحولت إلى جمهورية لمختلف ميادين المعرفة والمهارة»[7]

ولنا أن نقول بعد تلك الشهادات من أهل هذه اللغات ومن غير أهلها: لمثل هذا فليعمل العاملون على تطوير هذه اللغة وانتشارها ولن يتأتى ذلك كما رأينا إلا بتوسيع مشاريع الترجمة والتعريب والتفاعل الجدي المدروس مع الفكر الإنساني ومع كل المستجدات المعرفية التي تحدث في الغرب في مجالات العلوم، والتكنولوجيا والإعلام وكل التطورات المعرفية في مجال العلوم الإنسانية بمختلف حقولها المعرفية حيث يلاحظ أن اللغة العربية مازالت تنتظر من يصنع من مفرداتها عشرات آلاف المصطلحات والمسميات المستحدثة في مختلف المجالات العلمية والتكنولوجية.

ونحن إذ ندعو إلى كل ذلك إنما ننطلق مما حققته دول كثيرة من مثل هذه المشاريع وأمامنا اليابان والصين، وكوريا وغيرها من الدول التي لم تصل إلى ما وصلت إليه من تقدم علمي وتكنولوجي إلا بفضل سياسة مدروسة تقوم على نقل النظريات والاكتشافات والمنجزات العلمية إلى لغاتها عن طريق الترجمة والنقل والتأصيل والاستيعاب.

وعسى أن تنهض المنظمة العربية للثقافة والعلوم بهذه المهمة الجليلة باعتبارها واحدة من أمهات القضايا المصيرية إلى تجعلنا أمة قائمة بما تسهم به– في هذا العالم المتغير – من معارف وابتكارات تعيد لهذه اللغة مجدها الحقيقي.

فاللغة العربية إنما تكون لغة العالم ولغة العلم عندما تكون هي حاضنة لمختلف أنواع العلوم، وتكون حاجة الناس إليها كحاجتهم لتعلم هذه العلوم نفسها.

أما التجربة الثانية التي مرت بها اللغة العربية في مجال الانتشار والانتصار على اللغات الأخرى في مواطن مختلفة فتتجسد في هذا الزمن القياسي الذي استطاعت أن تصبح فيه لسان قطاع عريض من البشر من مختلف الأجناس والأعراق، وأن يدرك الواحد منهم في تلك الفترة المبكرة أن تعلّم هذه اللغة أمر واجب لأنها لغة القرآن ودلالة على سعي الفرد للجمع بين الدين والدنيا، يقول البيروني الفارسي: « ديننا والدولة عربيان توأمان ترفرف على أحدهما القوة الإلهية وعلى الآخر اليد السماوية...وكم احتشد طوائف من التوابع، وخاصة الجبل والديلم في إلباس الدولة جلابيب العجمة، فلم ينفق لهم في المراد سوق وما دام الآذان يقرع أذانهم كل يوم خمسا، فتقام الصلوات بالقرآن العربي المبين خلف الأئمة صفا صفا ويخطب لهم في الجوامع بالإصلاح...فازدانت وحلت في الأفئدة وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأوردة وإن كل أمة تستحلي لغتها التي ألفتها واعتادتها واستعملتها في مآدبها والهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية [8] ويقول الزمخشري في مقدمة كتابه لمفصل:

«الحمد لله على أن جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية، وأبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم، وأمتاز، وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وأنحاز» [9]

ومن شأن مثل هذه النصوص أن تبين لنا كيف انساق الناس إلى تعلم هذه اللغة بدافع الدين وبدافع الدنيا تارة لما كانوا يرجونه من تقرب من الله، أو جاه، أو تميز في العلم أو مكانة لدى أولي الأمر يقول حسن الباقوري رحمة الله وهو يقارن –في حسرة – بين حاضر هذه اللغة وأمسها: «والذي يرى استباق الشرقيين إلى تعلم لغات الإنجليز والفرنسيين وآدابهم لأن في معرفتهم كذلك خيرا يرجونه أو جاها يأملونه يدركه في يسر كيف كانت الأمم تتسابق إلى تعلم اللغة العربية [10]

إذا كان ذلك هو حال اللغة العربية من حيث الانتشار والازدهار في تلك الفترة الذهبية من تاريخنا فإننا نود أن نعاين مسارها في عصرنا الحاضر من خلال خريطة لغوية تبين مواقعها ومكانتها وكيفية انتشارها في مختلف أنحاء العالم ،فالدراسات والإحصائيات الرسمية تقول: إن العربية أكبر لغات المجموعة السامية من حيث عدد المتحدثين بها ،وإحدى أكثر اللغات انتشارا في العالم يتحدث بها أكثر من 450 مليون فرد داخل الوطن العربي وخارجه وهي لغة

رسمية في كل الدول العربية بالإضافة إلى أريتيريا وتشاد والسنغال وفلسطين المحتلة وهي كذلك لغة رسمية معترف بها لدى هيئات ومنظمات دولية :في الأمم المتحدة في منظمة المؤتمر الإسلامي والإتحاد الإفريقي . . .وغيرها [11]

وللغّة العربية مكانة رفيعة متميزة –باعتبارها لغة القرآن في كافة أنحاء العالم الإسلامي في آسيا وإفريقيا وأجزاء من أوروبا.

حيث أنشأت جامعات ومراكز لدراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية في كل من الهند وباكستان وماليزيا وإيران وتركيا وأوزبكستان واندونيسيا وغيرها هذا بالإضافة إلى دروس تعليم اللغة العربية إلى تشرف عليها المساجد والجمعيات الإسلامية.

أما في أوروبا فلقد بدأ الاهتمام، بل الحرص على تعليم اللغة العربية منذ القرون الوسطى لما كانت تتميز به من قيم علمية وفكرية وثقافية، فأحدثت كراسي لذلك في كبريات الجامعات الأوروبية، ولقد أنشأ فرانسوا الأول منذ سنة 1530 أول مدرسة لتعليم اللغة العربية وأصبحت منذ ذلك التاريخ لغة تدرس في الجامعات والمدارس ويشرف على تدرسيها أساتذة تابعون للوظيف العمومي حيث أنشأت شهادة التبريز l'agrégation الخاصة باللغة العربية سنة 1905.

وفي الوقت الحاضر فإن اللغة العربية تدرس في فرنسا في حوالي 300 ثانوية ومتوسطة هذا بالإضافة إلى المراكز التعليمية والمساجد التي تشرف عليها الجمعيات الإسلامية والتي تحرص على تعليم أبنائها اللغة العربية في معظم المدن الفرنسية.

كمـا أن هناك أقساما وكراسي لدراسة الآداب والحضارة العربية الإسلامية في معظم الجامعات الفرنسية[12].

ولا يكاد يختلف كثيرا حال اللغة العربية في فرنسا عن حالها في معظم الدول الأخرى في أوروبا، كايطاليا واسبانيا وألمانيا وغيرها.

ونحسب أن هذا المتابعة لواقع اللغة العربية في العالم لن تكتمل دون قراءة الإحصائيات التي تبين الأهمية الجغرافية والبشرية للعالم الإسلامي والجاليات الإسلامية عبر العالم. ودون ربط هذه المعطيات بعدد الناطقين باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن ولغة العبادة، تقول الدراسات السكانية أن عدد السكان المسلمين في آسيا يقدر بحوالي 68% من أعداد المسلمين في العالم المستقبلية وهو عدد يشكل 20 % تقريبا من عدد سكان قارة آسيا وأن عدد سكان المسلمين في إفريقيا يمثل 58 %.

وتقول الدراسات المستقبلية أن عدد المسلمين في العالم سيتضاعف خمس مرات على الأقل في نهاية القرن الواحد والعشرين، وأن عدد هؤلاء سيشكل 40 % من سكان العالم [13].

وما يمكن استنتاجه وتصوره في ضوء المعطيات العددية والجغرافية أن عدد الناطقين في الدول العربية والراغبين في تعلمها سيتضاعف بالضرورة لو أحكمنا مناهجنا وسياساتنا في تعليم اللغة العربية للشعوب الإسلامية ولغير الناطقين بها عموما.

وقبل أن نتعرض للجهود والإنجازات التي قامت بها الهيئات العربية المهتمة بموضوع العربية على النحو الذي أشرنا إليه في الفقرة السابقة قلت قبل ذلك نود أن نعرف الدوافع والحوافز التي تجلب أو تغري الواحد منهم، أي من الأجانب إلى تعلم العربية.

ومن العوامل الدافعة إلى إقبال غير العرب على تعلم اللغة العربية كما تشير الدراسات:

1– رغبة المسلمين من غير العرب في دراسة الإسلام من مصادره الأصلية وحرصهم على قراءة القرآن باللغة التي نزل بها.

2– الثورة النفطية التي تفجرت في كثير من البلاد العربية جعلت عشرات الآلاف من الأجانب يتوافدون على تلك البلاد ويسعون إلى توثيق صلاتهم بهذه البلاد بما في ذلك تعلم اللغة العربية.

3– المكانة السياسية والعلمية التي أصبحت تتمتع بها اللغة العربية في المؤسسات الثقافية والعلمية والهيئات السياسية كمنظمة الأمم المتحدة، واليونسكو ومنظمة الأغذية والزراعة، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة العمل الدولية.

4– اهتمام الجامعات الأجنبية بالحضارة العربية والثقافة الإسلامية مما يمكن اعتباره استمرارا متطورا للحركات الإستشراقية التي عرفها الغرب في القرون الأخيرة والتي كانت تحرص على معرفة الثقافة الإسلامية في لغتها الأصلية.

بهذه الأهمية الإستراتيجية التي تكتسبها نشر اللغة العربية، وانطلاقا من المعطيات والاستنتاجات التي أشرنا إليها آنفا، جاءت دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (سنة 1981) إلى عقد اجتماع للتخطيط لسياسة عربية موحدة لنشر اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية خارج الوطن العربي، ولقد انتهى الاجتماع إلى إقرار إنشاء جهاز متخصص تحت إشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وسمي «جهاز التعاون الدولي لتنمية العربية الإسلام»، يمول من صندوق أطلق عليه اسم «صندوق التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية الإسلامية» ولقد رسم المجتمعون لهذا الجهاز أهدافا مستقبلية نقتبس منها ما يندرج في سياق موضوع عالمية اللغة العربية الذي هو مدار بحثنا:

1– تعليم اللغة العربية لأبناء الجاليات العربية في الخارج وخاصة في الدول الغربية والأمريكيتين.

2– نشـر اللغة العربيـة والثقافـة العربية الإسلامية في الدول ذات الكثافة السكانية الإسلامية العالية.

3– نشر اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية في المناطق الأخرى من العالم.

4– إنشاء المدارس والمعاهد والفصول الخاصة بتدريس اللغة وآدابها لأبناء الجاليات العربية والإسلامية في الخارج.

5– إنشاء المدارس والمعاهد العربية العالمية في البلاد الأجنبية.

6– تقديم المنح الدراسية والتسهيلات المختلفة للطلبة الأجانب، وخاصة من أبناء إفريقيا، وآسيا الذين يدرسون اللغة العربية، أو يتلقون علومهم في الجامعات العربية باللغة العربية في أي مادة من المواد.

7– إعداد المناهج المناسبة للطلبة الأجانب لتعليم اللغة العربية، والثقافة العربية الإسلامية بالتعاون مع البلاد العربية التي تقام فيها الدورات الصيفية، والملتقيات على أن يخصص الجهاز لهم منحا تغطي نفقات سفرهم ودراستهم.

8– إنشـاء شبكـة من الاتحادات القطرية والإقليمية، والدولية للمؤسسات العاملة في مجال نشر اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية يضمها اتحاد عالمي للغة العربية، والحضارة العربية الإسلامية.

9– إنشاء دار عربية للتأليف، والترجمة، والنشر لنقل أمهات الكتب العربية إلى اللغات الأجنبية، ونشرها بالتعاون مع الهيئات العلمية، ودور النشر، وإصدار كتب باللغات الأجنبية تعرّف باللغة العربية والثقافة والحضارة العربية الإسلامية.[14]

وفي انتظار ما تجنيه لنا هذه التوصيات من ثمار ونتائج طيبة إن شاء الله، حيث إن معظم هذه المشاريع لم تر النور بعد، في انتظار كل ذلك فإننا نطلب من القائمين على هذه المشاريع ومن كل الهيئات العلمية والجامعية في العالم العربي، العمل على بعث هذه العملية وفق منهج ومخطط يراعى فيهما ما يلي:

1– القيام بمسح شامل للدراسات والأبحاث التي تم إنجازها في مجال تعليم اللغة العربية باعتبارها لغة أجنبية.

2– رصد العراقيل والصعوبات التي تواجه المعلم والمتعلم على السواء عند تعليم، أو تعلّم هذه اللغة والعمل على إيجاد الحلول والطرائق التي تمكننا من تبسيط قواعد اللغة وتسهيل النطق بحروفها وأصواتها المختلفة.

3– القيام باستبيانات واستعلامات تمكننا من معرفة الأسباب والدوافع التي تحمل الناس على تعلم اللغة العربية ثم دراسة نتائج هذه الاستقصاءات، وتقديم الحلول والاقتراحات ووسائل العلاج.

4– وضع الأسس والخطط لتأليف عدد من المعاجم الثنائية التي يحتاجها المتعلم الأجنبي مثل معجم إنجليزي/عربي وعربي انجليزي وفرنسي /عربي. وعربي فرنسي وأن تنوع هذه المعاجم حسب حاجة المتعلمين وأغراضهم كأن توضع مع معجمات للتعبير باللغة العربية ومعجمات أخرى تركز على الفهم، معجمات للاستعمال العام ومعجمات أخرى (ثنائية) تتوزع على الحقول الدلالية المختلفة مثل المعجمات الاقتصادية، القانونية، الرياضية.

5– وأخيرا فإننا ندعو أن تتهيأ للغة العربية هيأة رسمية تتمتع بقوة مالية وسياسية (مدعومة من الدول العربية) ومزودة بعدد من المستشارين في مختلف أنواع المعرفة لكي تتمكن من التخطيط ووضع المقاييس اللازمة لنشر اللغة العربية وتعليمها لغير الناطقين بها ولقد أثبت التاريخ والتجارب العملية ما لمثل هذه السياسة من فوائد ونتائج ملموسة ويكفينا عبرة ما تجنيه المؤسسة الفرنكوفونية التابعة للدولة الفرنسية من ثمار وما تتركه علينا من آثار كذلك.

ونحسب أننا مهما بذلنا من مال، وجهد، ووقت في سبيل هذه الغاية فإن التكلفة لن تكون باهظة إذا قيست بما ستعرفه العربية من تطور وتكاثر، وتداول بين الناس.

الهوامش:

1– أنظر دراسات فنية في الأدب العربي، عبد الكريم اليافي، ص 19 وما بعدها ط: 1 دار الحياة 1972 دمشق وحضارة العرب: غوستاف لربون ترجمة عادل زعيتر، ص 439 ط: دار إحياء الكتب العربية القاهرة 1956.

2– ينظر مقال الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله في هذا الموضوع، ص 48 وما بعدها، مجلة المنهل السعودية، فبراير 1994.

3– ينظر النص في فلسفة الإستشراف وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفيتش، ص 67–68 دار المعارف مصر 1980.

4– ينظر النص في دراسات فنية في الأدب العربي، ص 20.

5– ينظر: ابن أبي صبيعة: عيون الأبناء في طبقات الأطباء جـ2 / ص 143 دار الثقافة بيروت 1987.

6– صاعد الأندلسي كتاب طبقات الأمم ص 47 (عن مجلة سبأ)، مجلة تاريخية تصدر عن جامعة عدة العدد 14–15، 2007.

7– ألكسندر أغنانتكو: بحثنا عن السعادة، دار التقدم موسكو 1990، ص 26–27.

8– ينظر النص في مقدمة كتاب حركة التعريب في العراق د / أحمد مطلوب معهد البحوث والدراسات العربية بغداد 1983.

9– المفصل في علم العربية للزمخشري، نشر محمود توفيق مطبعة حجازي، القاهرة.

10– ينظر في هذا الموضوع: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، محمد حسن الباقوري ص 45، دار المعارف القاهرة 1983.

وينظر بحث لنا في هذا الموضوع تحت عنوان: القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية، مجلة الجامعة الإسلامية العدد الأول، لندن 1994.

11– ينظر هذه الإحصاءات في منشورات المنظمة العربية للثقافة والعلوم وفي مواقع الإنترنت التي تهتم بواقع اللغة العربية.

12– ينظر دراسة مخطوطة أعدها الزميل الأستاذ حسين رايس وهو أستاذ مشارك في بعض الجامعات الفرنسية وشارك في تعليم اللغة العربية للجاليات الجزائرية والعربية منذ سنة 1975 .

13– جغرافية العالم الإسلامي د . صلاح الدين علي الشامي ود/ زين الدين عبد المقصود ص 314–318 منشأة دار المعارف مصر، وينظر دراسة لـ. د . مهدي المنجرة نشرتها جريدة الخبر يوم 4 سبتمبر 1993 .

14– يراجع كتاب صادر عن المنظمة العربية للثقافة والعلوم عنوانه: تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ص 125، وما بعدها تونس 1992 .